في رثاء المغفور له أ.د. محمد سعد محمد علي

لا لن أبكيه، لا لن أنعيه
لا لن أمحو رقم تليفونه

إعداد

أ.د/ حسين عبد العزيز الدريني

في رثاء المغفور له أ.د. محمد سعد محمد علي
لا لن أبكيه، لا لن أنعيه
لا لن أمحو رقم تليفونه

في أحد ايام شهر سبتمبر من العام الجامعي 1978/1977 دخل إلى مكتبي في كليتنا القديمة بكلية الطب شابان أحدهما ضابط احتياطي بالجيش المصري والآخر صديق له.

بالرغم من أوجه الاختلاف بينهما إلا أن التخصص الأكاديمي في الرياضيات جمع بينهما. وفوق ذلك جمعت بينهما أواصر الصداقة النقية والمحبة الأخوية والإخلاص المهني والابتسامة المشرقة والعشق المؤسسي.

عاش الصديقان حقبة طويلة من الزمن لم ألمح خلالها أي خلاف أو شقاق بينهما حتى بلغ صالح درجة أستاذ مساعد ووصل محمد سعد إلى درجة أستاذ. لم تفرق الأيام والنوازع الشخصية بينهما بل زادت وتداعمت أواصر المحبة والصداقة والأخوة من خلال نجاحاتهما في التغلب على الصعاب التي كانت تواجههما ومن خلال محبة الجميع لهما حتى جاء انتقال صالح إلى جوار ربه.

عندئذ تجلت أحد مظاهر القدرة الإلهية مؤكدة أن المولد والوفاة حقيقتان أزليتان أبديتان نافذتان بحول الله وأمره وقوته، وليس للإنسان فيهما إرادة أو تدخل، بل عليه تقبلهما بإيمان صادق.

تغلب محمد علي ما أثارته وفاة صديقه الحبيب إلى قلبه والأسير إلى نفسه وعاش مترجمًا ومؤكدًا لعدة معاني وقيم نبيلة.

عاش (محمد سعد) حسن النية سليم الطوية لا يحمل حقدًا ولا ضغينة لأحد. عاش باسمًا ضاحكًا دائمًا غير عابس، وكانت بسمته تأسر قلوب من حوله وتعبر عن نقاء سيرته وحبه للحياة، وكانت مفتاح علاقته بكل من تعامل معهم.

كان (محمد) صديقًا صدوقًا وخدومًا، ومعاونًا لزملائه ومعارفه وتلاميذه. والصداقة نعمة يقدرها من ينعمون بها ويخبرونها ويعيشون بها ومعها. لقد كان بحق صديق العمر لكل من حوله ولمن رحل عنه ولأسرهم.

لم يكن (محمد سعد) يومًا ما مغرورًا - بالرغم من صعوبة تخصصه على الكثيرين وإتقانه له – لأنه كان يرى أن الغرور خداع للذات واعتقاد الإنسان بما ليس فيه دون سند أو دليل. كانت واقعيته في فهم ذاته وإمكاناته هادية ومرشدة له في سلوكه مسلك العلماء الباحثين الذين لا يبخلون بعلمهم على أحد، المتواضعين علمياً وإنسانياً.

كان محمد مخلصًا في عمله ومحبته للكلية وللقسم وكان بحق رجلاً يسعى دائمًا للعلم، وكان حبيب الحياة وابنها الأثير وشعلتها المضيئة وكان رب أسرة من طراز فريد.

سيظل المرحوم (محمد سعد) شخصًا غاب عنا بجسده وإيقاع صوته وأصالة أخلاقه، ومهما اختفى من أمام ناظرينا فإنه حيا بيننا وفى مخيلتنا نابضاً في قلوبنا راسخًا في وجداننا ومشاعرنا.

لذلك... لن أبكيه ... ولن أنعيه ... ولن أمحو رقم تليفونات الصديقان الوفيان المخلصان.

رحم الله موتانا وأسكنهم فسيح جناته وغفر لهم ذنوبهم، وحسبهم أنهم في رحاب العلي القدير مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

الشاهد على محبة الجميع لك يا محمد

أ.د./ حسين عبد العزيز الدريني